حديث الأزهار

للكاتب الفرنسي ألفونس كار

زهرة الخشخاش

كنت فيما مضى أرسل عبيري على الارقين فيرقدون ، ولكن النوم لم يعد كافياً للناس فى آلامهم ، لم يعد الانسان يكتفى بالوسن فهو يطلب الأحلام . لذلك كنت نسياناً فأصبحت أوهاماً .

لقد احتقر الانسان عبيري المنوم فطمع بدمي المسكر ، فهو يطعن قلبي بالنصال ويسقى من جراحى أشباح سلوانه .

لا تكاد زهرتى ترتفع عن التراب حتى أحس بالمسبر الجارح فى قلبي مستنزفاً منه السائل المخدر يسكبه الناس فى أحشائهم فيذهب بالاشباح إلى رؤوسهم .

عند ما يرتشف الانسان كأس دمي تستنبت روحه الاوهام أجنحة ترفعه إلى الأوج فاذا هو روح منعتقة من قيودها تقف لحظة فى برزخ الحيرة ثم ترجع إلى أدراجها إلى الماضى أو تقتحم حجب المستقبل لترفرف على تذكاراتها أو آمالها .

***

مضى الزمن الذى كنت القى فيه بيذورى إلى الناس فيجدون بمنقوعها الوسن الهادى بعد منهكات الجهود ، ذلك زمان كنت فيه مبعث الأحلام الهادئة الجميلة . ذلك زمان كنت فيه أحمل الآمال الباسمة بالايمان . فأقف إلى جنب فراش الأم لأريها سعادة طفلها ، وأحوم حول فراش اليتيم لأريه أمه حنية فوق جبينه تهدية بركتها بقبلة سماوية .

فى ذلك الزمان كنت زهرة التعزية أعيش بسكون وأنقضى بسلام بعد حياة تنيرها بسمات الربيع .

***

من هدى الناس إلى دمى يستقطرونه شراباً يقتلهم ويقتلنى

ولكن على م أحزن ... أفليس الشاعر أخى ، أفليست أشعاره كدمى كلاهما يقبضان على الروح ويرفعان بها إلى أجواء الخيال .

إن شعر الشاعر ودم الخشخاش كلاهما السم القاتل لمن يجود بهما ولمن يسكر بهما .

***

لقد كان الخشخاش جالباً للنوم وكان الشعر منزلا للتعزية فما كلاهما اليوم إلا سيال للسكر والجنون .

(ف . ف)

والحياة المسورة . وهى مقاطيع تحف بها غفوات حالمة وهدآت خفية . ونفوس يؤذيها الضجيج ومناظر قد يزورها الطرب أو الكآبة تتمشى خلالها أخيلة النسيان والموت . ولقد كان لهذا الشعر الناحل المتزهد تأثير كبير .

و « بول فور » الذى أبدع « المسرح الفنى » صاحب « الاراييم » وصاحب طريقة الشعر المنثور التى عاناها كثيرون قبله ، فلم يستطيعوا أن يمرنوا على هذه الطريقة حتى جاء ابن بجدتها والضارب فيها كيف يشاء . ولقد أخضع الايقاع لوحى شعرى حيث تتعالى الصور بدون أن تنفد ، طورا واضحة وتارة سرية محزنة ، فيه شىء من الواقعية يمتزج مع التلقين الرمزى . فتبقى المقطوعة الشعرية معلقة بين خيال الواقع وخيال الاسم كما أن « الايقاع » يعلق بين الشعر والنثر .

« وفرنسيس جامس » صاحب ديوان « من صلاة الصبح إلى صلاة المساء » وانتصار الحياة . يغلب على أسلوبه هذا القتام الرمزى حيث ترى الرمز يدخل فى السر والظل ، ويغيب فى الأحلام . وجامس يرى الشعر - بخلاف غيره - فى الأشياء البسيطة التى يلمحها ، وفى الحظوظ المتواضعة . وتظهر على شعره آثار الفاقة والمسكنة . وها هو ذا يقول :

« إلهى ! دعوتنى من الناس فها نذا جئت !
وكتبت بالكلمات التى ألهمتها أبى وأمى . . .

وقد يسخر القارئ من هذه البساطة فى المعانى . ولكن « جامس » اكتشف ينابيع حية ندية من الشعر . بساطة عميقة مؤثرة . فهو يحب ويجعلك تحب مثله سلامة السريرة والنفوس الشاقة ، والحياة الهادئة الضعيفة للأشياء . والموسيقى الباطنة فى وزنه وصورة حية من صوره وكلمة ملونة .

كل هذا تراه يعبر لك عن هذه الرقة التى لا تلمس ، وعن الجمال الخفى فى كل أثر من آثار المبدع الخلاق .

خليل هنداوى